شرح العقيدة الواسطية

الدرس الخامس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

فبعد أن أصّل المؤلف رحمه الله أصل أهل السنة والجماعة في مسألة صفات الله تبارك وتعالى؛ بدأ بذكر الآيات التي تتضمن صفات الله تبارك وتعالى، ووقفنا عند قوله:

(وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ})

هذه أسماء لله تبارك وتعالى تتضمن صفات، وهذه الأسماء الأربعة فسّرها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة: أنّ النبي ﷺ كان يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"

أمّا الأول: فقال: "الذي ليس قبله شيء"؛ وهذا واضح. فكان الله تبارك وتعالى ولم يكن معه شيء ولا قبله شيء، قال الطبري: الأول قبل كل شيء بغير حد.

وكذلك الآخر فسّره النبي ﷺ بالذي ليس بعده شيء؛ قال الطبري: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، قال: وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: {كل شيء هالك إلا وجهه}. انتهى

والظاهر: من الظهور وهو العلوّ، وعلوّ الله: علوّ وصف وعلوّ ذات؛ فهو عليٌّ في وصفه، عليٌّ في ذاته تبارك وتعالى.

وأمّا الباطن: فقال مقاتل بن سليمان: (أي: القريب من كلّ شيء، وإنما نعني بالقرب

بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه سبحانه"، وقال الطبري:(والباطن) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه)، ففسره بالقرب كَمَا قَالَ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}) ففسر الباطن بالقرب، فالله سبحانه وتعالى قريب من كلّ شيء؛ قريب منهم بعلمه وسمعه وقدرته.

قال المؤلف رحمه الله: **({وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ})**

فيه إثبات صفة العلم؛ فهو عليم تبارك وتعالى بكلّ شيء، ولا يُستثنى من ذلك شيء.

قال: **({وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}})**

وتوكّل: أي فوّض أمرك إلى الله، وكيف يكون تفويض الأمر إلى الله؟

يكون ذلك بصدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب الصحيحة؛ هكذا يكون التوكل الصحيح.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ} الحيّ :هو الذي يستطيع أن يجلب المنافع ويدفع المضار؛ لذلك قال في هذه الآية {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} فخيره دائماً واصل، وهو دائماً قادر على دفع المضار؛ لأنّه حيّ لا يموت، وأمّا الميت سواء كان من أصحاب القبور أو الأصنام التي لا حياة فيها أصلاً؛ فهذه لا تنفع ولا تضرّ، وكذلك الحيّ الذي مآله إلى الموت وإن كان في بعض الأمور يضرّ وينفع في بعض الأشياء وفي بعض الأحيان؛ ولكنّه سيأتي وقت لن يستطيع أن يفعل شيئاً، مع أنّ نفع وضرّ غير الله تبارك وتعالى متعلق بمشيئة الله؛ فالأمر من قبل ومن بعد عائد إلى الله تبارك وتعالى، وأمّا الله سبحانه وتعالى فنفعه وضره مطلق لا يتعلق بمشيئة أحدٍ غيرِه؛ لهذا كلّه قال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} فنفعه دائم سواء كان بجلب المنفعة أو بدفع المضرة.

قال: (وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ})

العليم: تقدم أنّها صيغة مبالغة من العلم؛ إثبات صفة العلم، هو اسم: العليم يتضمن صفة، والقاعدة عندنا أنّ كلّ اسم يتضمن صفة كمال؛ فهذه أسماء، الحيُّ اسم تضمن صفة الحياة؛ أي: الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، والعليم: اسم يتضمن صفة العلم والمبالغة في العلم؛ العلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل ولا يلحقه سهو ولا نسيان؛ هذا علم الله سبحانه وتعالى، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا تخفى عليه أفعال العباد ولا غيرها.

(الحكيم) مادة حكم في لغة العرب يتصرف منها معنيان:

الأول: الحُكْمُ.

والثاني: الإحكام.

فاسم الله الحكيم يتضمن صفة وهو على وزن فعيل، متصرفة من مادة حكم، والمعنيان يتصرفان من هذه المادة؛ فيكون معنى الحكيم الحاكم وذو الحكمة.

وما هي الحكمة؟ هي وضع الشيء في موضعه، وبما أنّ الاسم قد تضمن صفة تحتمل المعنيين؛ فيُفهم هذا الاسم على المعنيين، ولا مانع من ذلك بما أنّ الصفتين صفتا كمال؛ فلا مانع من حمل الاسم على كلا الصفتين؛ وهذه القاعدة ما لم يأت دليل يدلّ على أنّ المراد واحد من المعنيين دون الآخر، وما عندنا الآن دليل؛ فلذلك نحمل الاسم على هذين المعنيين، أي: أنّه الحاكم وذو الحكمة؛ فنُثبت لله تبارك وتعالى الحكم ونثبت له الحكمة.

وقوله: {وهو العليم الخبير})[1]

العليم: -تقدم- بمعنى العلم، ولكنّها صيغة مبالغة لأنّه على وزن فعيل، وهذا الوزن في

١- الصواب: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ، أو {قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}.

الكلام يدلّ على الكثرة والمبالغة كالسميع، وصيغ المبالغة صيغ محصورة في اللغة؛ وهي أحد عشر وزناً: مثل: فعّال ومفعال وفعّالة، فعّال كقتال، ومفعال كمفضال، وفعّالة كعلّامة؛ هذه صيغ تُسمى صيغ مبالغة.

والخبير: هو العليم ببواطن الأمور، فأيّهما أعمّ؛ العليم أم الخبير؟

العليم أعمّ؛ فالعليم يشمل العلم بظواهر الأمور وببواطنها، أمّا الخبير فهو الذي يعلم بواطن الأمور فقط؛ فالعليم يكون أعمّ من الخبير.

فهذه كلّها أسماء تتضمن صفات ثابتة لله تبارك وتعالى كما جاء في كتابه.

ثم قال: **{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}**

هذا إثبات لصفة العلم، {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني: ما يدخل فيها من دود وحشرات وغير ذلك؛ فالولوج: بمعنى الدخول، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من زروع وغيرها، {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من ملائكة وماء، كلّ شيء ينزل من السماء سواء كان من الملائكة أو من الماء، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} أصل كلمة يعرج: يصعد، ومعنى يعرج فيها؛ أي: يعرج إليها، أي: يصعد إليها -إلى السماء-.

قال: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}**

إذن فهو يعلم كلّ شيء {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} يعني: مفاتيح الغيب عنده، هو الذي يعلمها، {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} هذا مما يختص بعلمه تبارك وتعالى، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} تصور الورقة إذا سقطت، يعلمها الله تبارك وتعالى، {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ} هذا عام، ما من شيء

على وجهها إلّا وهو رطب أو يابس {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} مكتوب مُظْهر للأشياء وبَيّن؛ وهو اللوح المحفوظ.

وللفائدة: كلمة {مُبِين} تأتي بمعنى بَيِّن، يعني: ظاهر واضح، وبمعنى مُبَيِّن، يعني: موضح ومظهر.

(وَقَوْلُهُ: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ})

هذا كلّه إثبات لصفة العلم العامة الشاملة لكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء.

(وَقَوْلُهُ: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا})

فعلمه أحاط بكلّ شيء، فهو يعلم كلّ شيء، وهذا كلّه فيه إثبات صفة العلم.

ثم قال: **(وقوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ})**

الرزاق: على وزن فعّال، وقد ذكرنا أنّها من صيغ المبالغة فهو كثير الرزق- الرزق هو العطاء- فهو يعطي ويرزق من غير حساب، والرزق لا يقتصر على الأكل والشرب؛ بل هو عام يرزق كلّ شيء، {ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} القوّة صفة معروفة؛ أي: القوي، والمتين؛ قال ابن عباس: (الشديد) وهو توكيد للقوي، إثبات صفة القوّة لله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})**

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} قد تقدم تفسيرها، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقد ذَكَر هذه الآية؛ لكي يثبت اسم السميع والبصير وما تتضمنه من صفات، صفة السمع وصفة البصر، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والميم والعين أصل واحد وهو إيناس الشيء بالإذن من الناس وكلّ ذي أذن، تقول سمعت الشيء سمعاً، والسمع الذكر الجميل، يُقال قد ذهب سمعه في الناس أي صيته)... الخ كلامه، وهو هنا يأتي لمعنيين:

المعنى الأول: معنى المجيب؛ أي: الذي يُجيب دعاء من دعاه.
والمعنى الثاني: السامع للصوت.
بمعنى المجيب: قال تبارك وتعالى على لسان إبراهيم: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} أي: لمجيب الدعاء، والبصير: قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}: (والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها، وأصل بصير: مبصر من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر) هذا الشاهد، وقال عند تفسير قوله تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (يعني بذلك والله ذو بصر بالذي يتقيه من عباده فيخافه)، وقال في موضع آخر: (يعني بذلك: والله ذو علم بمن يُقبِل من عباده)، وفي موضع ثالث: (إن الله يرى ما تعملون)، هذا كلّه من تفسير الطبري رحمه الله، قال: (وذلك لأنّ البصير تأتي على معنيين في اللغة: معنى الإبصار، أي: الرؤية، ومعنى العالم.
قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني *** بصير بأدواء النساء طبيب)

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما: العلم بالشيء، يُقال هو بصير به، ويقال: رأيته لمحاً باصراً، أي: ناظراً بتحديق شديد، ويُقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته إذا رأيته، وأمّا الأصل الآخر فبَصُر الشيء غِلْظُه، ومن هذه البصيرة، والبصيرة التُرُس، والبصيرة البرهان، وأصل ذلك كلّه وضوح الشيء).

الخلاصة: أنّ البصير بمعنى العلم وبمعنى الرؤية.

قال: (وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا})

أي: إن الله نعمَ ما يعظكم به، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ففيه إثبات صفة السمع وصفة البصر لله تبارك وتعالى.

قال: (وَقَوْلُهُ: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ})

يعني: وهلّا {إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ} يعني: بستانك {قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ} إثبات صفة المشيئة لله تبارك وتعالى، {لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: لا أقدر على حفظ مالي أو أدفع شيئاً عنه إلّا بإذن الله.

المشيئة: هي الإرادة الكونية فهي نافذة فيما يحبّه الله وفيما لا يحبّه الله.

والإرادة إرادتان:

إرادة كونية، وإرادة شرعية.

كلّ ما أمر الله تبارك وتعالى به في كتابه أو في سنة نبيه؛ فهو الذي أراده شرعاً، وكلّ ما نهى عنه؛ فهو الذي لم يرده شرعاً، فهذه أحكام شرعية، إرادة الله الشرعية، فهذه ربما توجد وربما لا توجد، أراد الله إيمان العباد جميعاً- شرعاً- أمرهم بالإيمان وأراده منهم؛ هل آمنوا جميعاً؟ لا، إذن فالإرادة الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، أمّا الإرادة الكونية فكلّها واقعة ولابدّ؛ والفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ فرقان:

الفرق الأول: أنّ الإرادة الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، وأمّا الإرادة الكونية فهي واقعة ولابد، إذا أراد الله شيئاً إنّما يقول له كن فيكون؛ هذه الإرادة الكونية، أما الإرادة الشرعية؛ ربما تقع وربما لا تقع.

الفرق الثاني: الإرادة الشرعية يحبها الله ويرضاها، كلّ ما أراده الله شرعاً؛ فهو يحبّه ويرضاه، أمّا الإرادة الكونية؛ فمنها ما يحبّه الله ومنها ما لا يحبّه، فكفر الكافر لا يحبّه

الله ولا يرضاه، ولكنّه إذا أراده كوناً وقع، كذلك إيمان المؤمن يحبّه الله ويرضاه وإذا أراده وقع، وإذا لم يرده لم يقع؛ فالإرادة الكونية واقعة ولابد، وتكون فيما يحبّه الله وفيما لا يحبّه، أمّا الإرادة الشرعية؛ فربما تقع وربما لا تقع ولا تكون إلّا فيما يحبّه الله ويرضاه.

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} هل هذه الإرادة إرادة كونية أم إرادة شرعية؟ إرادة كونية.

قال هنا: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي مشيئة الله هي الإرادة الكونية؛ ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن.

الشاهد من هذه الآية إثبات مشيئة الله تبارك وتعالى، ومشيئته عامة لكلّ شيء؛ تشمل أفعال العباد، والعباد لهم مشيئة ولكن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

هنا فائدة جانبية عند قوله: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} هل هذه الكلمة تُقال لدفع العين؟

هذا من الخطأ الذي انتشر عند كثير من الناس، هذا الرجل الذي فعل هذا الفعل؛ لماذا قيلت له هذه الكلمة؟ لأنّه عندما أعجبته جنته أعاد الفضل لنفسه ولم يعده لله تبارك وتعالى صاحب الفضل، فقيل له: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ} هذا كلّه الذي حصل إنما حصل بمشيئة الله وإرادته {لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: لا يمكنك أن تفعل هذا وأن تحفظ هذا إلّا بالله تبارك وتعالى، فإذا أعجبك شيء من مالك فردَّ الفضل إلى صاحب الفضل فقل: {ما شاء الله لا قوة إلّا بالله}، أمّا ردّ العين فهذا يكون بالتبريك كما علّمنا النبي ﷺ، الذي يخشى من نفسه أن يصيب الآخرين بالعين

يبرك، أمّا صاحب المال الذي يخشى على ماله من العين فيرقي؛ هذا ما علمنا إياه النبي ﷺ، فلا تُذبح شياه ولا يُقال: ما شاء الله لا قوة إلّا بالله من أجل دفع العين.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ})**

هنا إثبات المشيئة لله في قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ}، وقوله: {مَا اقْتَتَلُوا} يعني المؤمنين والكافرين، وفي هذا ردٌّ قوي على القدرية الذين ينفون تعلق فعل العبد بمشيئة الله؛ القدرية يقولون: العبد أفعاله لا تتعلق بمشيئة الله، والله سبحانه وتعالى لا يشاؤها ولا تعلق لها بمشيئة الله أبداً، فالعبد يفعل بمشيئته الخالصة المنفصلة عن مشيئة الله تماماً- هكذا يقولون تعالى الله عن قولهم-، هذه الآية توضح لنا أنّ مشيئة العباد راجعة إلى مشيئة الله، قال: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} وهنا يتحدث عن أفعال العباد، إذن أفعال العباد تحت مشيئة الله تبارك وتعالى أيضاً، هذه آية واضحة في ذلك.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}: إذن ما حصل من اقتتالهم هو من فعل الله تبارك وتعالى ومن إرادته الكونية؛ لأنّ هذا الشيء وقع وحصل، {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} يفعل ما يريد إرادة كونية، فكلّ ما يريده الله تبارك وتعالى يقع إرادة كونية ولابد؛ ففيه إثبات صفة الإرادة أيضاً.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ})**

{أُحِلَّتْ لَكُمْ} أي: أحلّ الله لكم، {بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ} التي هي الإبل والبقر والغنم، {إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } أي: ما يذكر لكم هنا مستثنى من الحلّ، فلا يحلّ لكم الصيد وأنتم حرم،{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} الشاهد قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} إرادة شرعية، يحكم حكماً شرعياً ويريده شرعاً، هذه الأحكام التي بينها لنا، أحلّ لنا

بهيمة الأنعام وحرّم علينا الصيد ونحن حرم، هذه أحكام شرعية يريدها الله إرادة شرعية، لكن ربما يأتي أحدنا ويصيد وهو محرم أم لا يمكن؟ نعم يمكن؛ إذن فإرادة الله الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، يأتي شخص ويُحرّم على نفسه بهيمة الأنعام، هل هذا ممكن أم لا؟ نعم ممكن؛ إذن إرادة الله الشرعية ربما تقع وربما لا تقع؛ لكنّها لا تكون إلّا فيما يحبه الله، فالله يحب أن يحلّ لنا بهيمة الأنعام ويرضى لنا ذلك، ويحب ألا نصطاد ونحن حرم ويرضى لنا ذلك؛ إذن نثبت لله إرادتين:

إرادة كونية، وإرادة شرعية.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ})**

هذه إرادة كونية؛ لأنّه أمرٌ سيقع، ثم كان فيما يحبه الله وفيما لا يحبّه، شرحُ صدر العبد للإسلام يحبّه الله وهو بيد الله {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} وإضلال العبد أمر لا يحبه الله ولا يرضاه؛ ولكنّه يريده كوناً.

والهداية المقصودة في قوله: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} هذه هداية توفيق، والهداية عندنا نوعان:

هداية توفيق، وهداية بيان.

هداية التوفيق: أن يُوفِق الله تبارك وتعالى العبد لطاعته.

وهداية البيان: أن يبين له الطريق ويُوضِح.

وهداية التوفيق خاصة بالله تبارك وتعالى؛ أمّا هداية البيان فتكون من العبد؛ لذلك نفى الله تبارك وتعالى الهداية الأولى عن نبيه وأثبت له الهداية الثانية؛ فقال جلَّ في علاه: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} هذا الكلام في النبي ﷺ؛ نفى عنه هداية التوفيق، أي: لا تستطيع أن توفق أحداً للإيمان والله تبارك

وتعالى لا يريد أن يوفَّق، وقال في نبيه أيضاً: {وإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم} فأثبت له الهداية، فالهداية المثبتة غير الهداية المنفية ولابد؛ الهداية المثبتة هداية البيان لذلك تلاحظ في الآية أنه قال: {وإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم} يعني تبين للناس الطريق المستقيم وتوضحه لهم، هذا الفرق بين الهدايتين؛ فالهداية المقصودة هنا هداية التوفيق الخاصة بالله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ})**

في هذه الآية إثبات صفة المحبّة لله، فالله يحبّ محبّة حقيقية تليق بجلاله وعظمته لا كمحبّة المخلوقين، نثبت صفة المحبّة للعبد ونثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى، ومحبّة الله محبّة تليق بعظمته وجلاله ليست كمحبّة المخلوقين، كما أننا نُثبت لله ذاتاً ونُثبت للعباد ذواتٍ، ونقول بأنّ لله ذاتاَ تليق بجلاله وعظمته وللعبد المخلوق ذاتاً تليق به؛ كذلك نقول في جميع الصفات، الشاهد عندنا هنا: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} صفة المحبّة، قال مجاهد في تفسير قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} قال: (يحبّهم ويحببهم إلى خلقه) انظر كيف يفسر السلف الصفات، يفسرونها على حقيقتها، يحبهم ويحببهم إلى خلقه، ما حرّف وما عطل ولا غيّر، لماذا نأتي بكلام السلف؟ حتى نبيّن أنّ العقيدة التي بين أيدينا ليست عقيدة الإمام ابن تيمية رحمه الله وحده؛ بل هي عقيدة السلف؛ لأنّ أهل الباطل من المتكلمين يحاولون أن ينشروا بين الناس أنّ هذه العقيدة- عقيدة إثبات الصفات- هي عقيدة الإمام ابن تيمية رحمه الله؛ لذلك عندما يريدون أن يصفوا أهل السنة يقولون: التيميون، أو يقولون: الحنابلة، ويدّعون أنّها عقيدة الحنابلة وهذا الكلام باطل؛ هي عقيدة أهل السنة قاطبة، فلذلك نحن نأتي بكلام السلف في مثل هذا، وأنت إذا لاحظت عند تفسير مثل هذه الصفات تجد السلف يمرون عليها كما هي؛ لأنّ أمرها

واضح لا تحتاج إلى تفسير؛ هي على مقتضاها اللغوي، كما قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) أي: السؤال عن الكيف بدعة، والاستواء معلوم؛ يعني: معلوم بمقتضى اللغة العربية، معلوم عند كلّ من يتكلم اللغة العربية المعروفة عند أهلها؛ لا تحتاج إلى تفسير، الاستواء بمعنى: العلو والارتفاع، وبهذا فسّره أبو العالية الريّاحي- وهو من أئمّة التابعين-، إذن تفسيرهم هذا يبين لنا أنّها عقيدتهم وكلامهم هذا يبين أنّها عقيدتهم وليست عقيدة ابن تيمية ولا عقيدة الحنابلة، هل الإمام مالك حنبلي؟ لا؛ هو يقول: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) يثبت الاستواء بشكل واضح، نُقل عن الإمام الشافعي في أكثر من موضع إثبات صفة العلوّ لله تبارك وتعالى فلماذا كانت خاصة بالحنابلة أو بابن تيمية؟ ما كان للحنابلة إلّا الجهاد في هذه العقيدة لإثباتها وللرد على أهل البدع، لمّا كان الإمام أحمد رحمه الله من أئمّة أهل السنة في زمنه وكثرت البدع والضلالات في زمنه أكثر من غيره من الأزمان التي سبقته؛ كان للإمام أحمد دور في إظهار السنة وإظهار عقيدة أهل السنة وكان لأصحابه من بعده دور في الدفاع عن السنة وإظهار هذه العقيدة والتمسك بها؛ هذا كلّ ما في الأمر، وكذلك فعل ابن تيمية رحمه الله، هل ننسب العقيدة الأشعرية إلى الرازي، كان الرازي أكبر منظر للأشاعرة في وقته؛ لكنّه لم يبتكر العقيدة الأشعرية؛ إنما أخذها ممن قبله، أول من وضعها أبو الحسن الأشعري رحمه الله وتاب منها في آخر عمره، وقرر ما يخالفها في "مقالات الإسلاميين" وفي كتابه "الإبانة" وفي رسالته إلى أهل الثغر، فالرازي ناظر وجادل وحقق في هذه العقيدة؛ هذا كلّ ما له، كذلك فعل ابن تيمية في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فلا تُنسب العقيدة الأشعرية للرازي كما لا تُنسب عقيدة أهل السنة لابن تيمية رحمه الله؛ عقيدة أهل السنة لو كانت من عمل ابن تيمية لكنّا أول من يردّها؛ فنحن لا نقبل عقيدة مبتكرة، العقيدة

التي نحملها ونريدها ونحبّها ونرضاها وندين الله بها هي عقيدة السلف، فلو أثبت عندنا أحد أن عقيدة ليست من عقيدة السلف لتركناها، أيّاً كان الذي يعتقدها؛ لأنّ الحق عندنا هو اتباع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وابن تيمية رحمه الله عندما قرر هذه العقيدة ذكرها وذكر أقوال السلف قاطبة الذين يعتقدونها ويدينون الله بها، ذكر مقالات عن السلف فيها إثبات الصفات لله تبارك وتعالى، عن أكثر من واحد، وممن نقل عنه ذلك أبو الحسن الأشعري نفسه مؤسس العقيدة الأشعرية.

فهنا عندنا مجاهد في تفسير هذه الآية قال: (يحبهم ويحببهم إلى خلقه)؛ فأثبت صفة المحبة لله تبارك وتعالى.

قال: **({وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ})**

وفي هذه الآية أيضاً إثبات صفة المحبّة لله، لقوله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} والصفة تؤخذ من الفعل، هل الاسم يؤخذ من الفعل؟ لا؛ الاسم لا يؤخذ من الفعل، الصفة هي التي تؤخذ من الفعل، {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} يعني: واعدلوا إنّ الله يحب العادلين.

ثم قال: **({فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ})**

كلّها آيات في إثبات صفة المحبّة له، والمؤلف رحمه الله يأتي بعدة آيات لإثبات صفة واحدة، والشاهد من هذه الآية قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} ففيه إثبات صفة المحبة.

قال: أي: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} مهما استقام لكم المعاهَدون الذين عاهدتم عند المسجد الحرام للوفاء بالعهد فاستقيموا لهم في ذلك {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} أي

الذين يتقونه ويخافونه، والمتقي هو الذي يتقي عذاب الله تبارك وتعالى، كيف يكون ذلك؟ يكون بطاعة الأمر واجتناب النهي.

ثم قال: (﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾)

أيضاً الشاهد فيه إثبات صفة المحبّة لله تبارك وتعالى، والتوّاب: فعّال، صيغة مبالغة، أي: كثير التوبة، والتوبة: هي الرجوع إلى الله تبارك وتعالى، {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}: الذين يتطهرون من الأحداث ومن النجاسات.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾)

هذه الآية يسميها العلماء آية المحنة، يعني: الامتحان، يُختبر العبد في صدق محبته لله، إن كنت صادقاً في محبتك لله؛ فاتبع النبي ﷺ، وعلى قدر اتباعك للنبي ﷺ يكون صدقك في محبة الله تبارك وتعالى، {فَاتَّبِعُونِي} وإذا اتبعتم النبي ﷺ وصدقتم في ذلك {يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} هذه نتيجة الاتباع، وكما قال أحد السلف: (ليس الشأن أن تُحِبَّ ولكنّ الشأن أن تُحَبَّ) يعني المقام والرفعة والمنزلة أن يُحبّك الله لا أن تدعي أنت محبّة الله تبارك وتعالى، وإن كنت صادقاً في محبتك لله تبارك وتعالى؛ فاتبع نبيه ﷺ واصدق في ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم)، هذا ابن كثير رحمه الله يثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾)

كذلك هذه الآية فيها إثبات صفة المحبّة لله.

قال:(وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾)

وفي هذه الآية كذلك إثبات صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

قال:(وقوله: {وَقَوْلُهُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ})

الغفور: على وزن فعول وهو وزن -أيضاً- يدلّ على الكثرة؛ أي: كثير المغفرة.

الودود: مأخوذ من الود، وهو: خالص المحبة.

قال ابن الأنباري رحمه الله: (الودود معناه المحبّ لعباده) فهذا ابن الأنباري يُثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

وقال الطبري: (وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه وذو المحبّة له).

وقال ابن فارس: (الواو والدال كلمة تدلّ على المحبّة) إذن هي أيضاً تدلّ على صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

نكتفي بهذا القدر في هذا اليوم إن شاء الله ونكمل في الدرس القادم بإذن الله تبارك وتعالى.